على سر القدر وهذه المشاهدة لا تحصل الا بعد الفناء التام في الحق والبقاء بعده ببقائه وتجليه له بالصفة العلمية ليكون من الراسخين في العلم كما قال ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء وهكذا اختصاص من الحق للعبد بحسب العناية ولا تحصل هذه المرتبة الا في السفر الثاني من الاسفار الاربعة التي تحصل لاهل الله وهو السفر في الحق بالحق فهم الواقفون على سر القدر واما الذين وصلوا الى الحق فرجعوا الى الخلق لا يطلعون على اسرار القدر وان كان تظهر خوارق العادة على ايديهم وغرائب تعجز العقول عن ادراكها وهم على قسمين منهم من يعلم ذلك اي سر القدر مجملا ومنهم من يعلم مفصلا والذي يعلم مفصلا اعلى واتم من الذي يعلم مجملا فانه اي فان الذي يعلم مفصلا يعلم ما في الله فيه اي في شان العبد من احوال عينه الثابتة وذلك يكون اما باعلام الله اياه بما اعطاه عينه من العلم به بان يلقيه في روحه وقلبه ويعلم ان عينه الثابتة تقتضي هذه الاحوال المعينة من غير ان يطلع على عينه كشفا واما بان يكشف له عن عينه الثابتة وانتقالات الاحوال عليها الى ما لا يتناهى فيشاهدها ويطلع عليها وعلى لوازمها واحوالها التي تلحقها في كل مقام ومرتبة فان كان عينه مظهرا للاسم الجامع الالهي كعين نبينا صلعم وعين خاتم الاولياء صلوات الله عليهما كان مطلعا بجميع الاعيان من عين اطلاعه على عينه لاحاطة عينه بها كاحاطة الاسم الذي هو مظهره بالاسماء كلها وان كان قريبا منه في الاحاطة فهو مطلع على حسبه وان لم يكن له احاطة اصلا لا يطلع الا على عينه فقط وهو اعلى فانه يكون في علمه بنفسه بمنزلة علم الله به لان الاخذ من معدن واحد وهو العين المعلومة اي كما يتعلق علم الله به فيعلمه كذلك يتعلق علم هذا الكامل به فيعلمه الا ان الفرق حاصل بين العلمين بان علم الله به لذاته لا بواسطة امر اخر غير ذاته وعلم العبد بعينه واحوالها حينئذ بواسطة العناية من الله في حقه وهذا معنى قوله الا انه من جهة العبد عناية من الله سبقت له هي من جملة احوال عينه يعرفها صاحب هذا الكشف اذا اطلعه الله على ذلك اي على احوال عينه وهذا نهاية المكاشفين في السفر الثاني اذ لا احوال السالكين مبتدئا من مقام المحجوبين متدرجا الى غاية مقام للكاشفين واعلم ان العناية الالهية من وجه تنقسم على قسمين قسم تقتضيها العين الثابتة باستعدادها فيكون العناية تبعا لها وقسم تقتضيها الذات الالهية لا العين الثابتة اما الاول فهو بحسب الفيض المقدس المترتب على الاعيان واحوالها واستعداداتها واما الثاني فهو بحسب الفيض الاقدس الجاعل لها واستعداداتها فهذه العناية متبوعة اذ الفيض الاقدس مترتب عليها واراد الشيخ رضي الله عنه هنا القسم الاول كذلك نسب الى احوال عين العبد فانه الضمير للشان ليس في وسع المخلوق اذا اطلعه الله على احوال عينه الثابتة التي تقع صورة الوجود عليها ان يطلع في هذه الحال على اطلاع الحق على هذه الاعيان الثابتة في حال عدمها لانها نسب ذاتية لا صورة لها هذا تعليل لقوله الا انه من جهة العبد عناية من الله اي ليس في وسع المخلوق انه اذا اطلعه الله على احوال عينه الثابتة بحسب العلم ان يطلع عليها

حال اطلاعه على احوالها كشفا وشهودا كما يطلع الحق عليها شهودا لانها قبل ان يقع عليها صورة الوجود العلمي كالصورة الذهنية مثلا في اذهاننا او العيني كالصورة الخارجية للشيء نسب ذاتية لا صورة لها فلا يمكن ان يطلع عليها المخلوق كما يطلع عليه الحق ولا ينبغي ان يتوهم انه نفى الاطلاع على الاعيان الثابتة مطلقا في حال عدمها لانه ذكر في فتوحاته ان السالك في السفر الثالث يشاهد جميع ما يتولد من العناصر الى يوم القيمة قبل وجودها وقال بهذا لا يستحق القطبية حتى يعلم مراتبهم ايضا وهذا الاطلاع لا يمكن الا بالاطلاع على اعيانهم الثابتة فهذا ايضا فرق اخر بين علم الحق بالاعيان وبين علم العبد وضمير لانها عائد الى الاعيان ولما كانت راجعة الى النسب الذاتية وهي الصفات الالهية حكم عليها بانها نسب ذاتية كما قال في الفص الاول بل عينها لا غيرها اعني اعيان الموجودات فسلب الصورة عنها من هذا الوجه والا الاعيان عبارة عن الصور المتعينة في الحضرة العلمية واعيان الممكنات ايضا لها صورة في الخارج فلا يصدق سلب الصورة عنها خارجا وعلما وقيل ضمير لانها عائد الى الاطلاع وتانيثه باعتبار الخبر وهو النسب وفيه نظر اذ لا يصدق على الاطلاع انه نسب ذاتية لانه نسبة من النسب لا كلها فبهذا القدر نقول ان العناية الالهية سبقت لهذا العبد بهذه المساواة في افادة العلم طاهرا ومن هنا يقول الله حتى نعلم وهي كلمة محققة المعنى ما هي كما يتوهمه من ليس له هذا المشرب اي من حيث ان العلم تابع للمعلوم من وجه يقول الحق تعالى في كلامه حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين اي يتعلق علمه بالاعيان الثابتة التي للمجاهدين والصابرين فيحصل العلم بان الاشخاص الانسانية من يكون منهم مجاهدا ومن يكون منهم صابرا ومن لا يكون كذلك لا يقال يلزم منه الحدوث لحصوله بعد ما لم يكن حينئذ لانا نقول العلم بالمعلوم ازلي وابدي فلا يلزم ذلك غاية ما في الباب انه يلزم تقدم المعلوم على تعلق العلم به وعلى العلم ايضا تقدما ذاتيا لا زمانيا ليلزم الحدوث الزماني وهو حق لان العلم من حيث انه مغاير للذات نسبة ذاتية يقتضي العالم والمعلوم وكل منهما لا بد وان يكون مقدما بالذات كما مر فهي كلمة محققة المعنى في نفس الامر ليس كما يظنه المحجوب الذي ليس له هذا المشرب ويمكن ان يكون المراد من قوله حتى نعلم العلم التفصيلي الذي هو في المظاهر الانسانية ولا شك في تجدد العلم فيها فيكون الحقيقة الانسانية حينئذ وقاية لذاتها عن سمة الحدوث ونقص الامكان لكن لا يكون من هذا المقام حينئذ وغاية المنزه ان يجعل ذلك الحدوث في العلم للتعلق وهو اعلى وجه يكون للمتكلم بعقله في هذه المسألة لولا انه اثبت العلم زائدا على الذات فجعل التعلق له لا للذات وبهذا انفصل عن المحقق من اهل الله صاحب الكشف والوجود اي غاية من يتكلم بعقله في هذه المسألة وينزه الحق عن سمة الحدوث ونقائصه ان يجعل ذلك الحدوث للتعلق بان يقول العلم ازلي وتعلقه بالاشياء حادث لحدوثها زمانيا لئلا يلزم ان يكون الحادث صفة للواجب وهو اعلى وجه للمتكلم في هذه المسألة بنظره الفكري وجواب لولا محذوف

Copyright © King Saud University